الاعلام العراقي والطريق المستقل

د. حسن العيدي

قسم الاعلام - كلية الآداب - جامعة بغداد

المقدمة

لم يعد بمقدور احد ان ينكر الدور الاساسي والخطير الذي يضطلع به الاعلام وتلعبه شتى وسائله المختلفة في الحياة اليومية لكل المجتمعات البشرية ولمختلف النظم ، سواء كان ذلك في المجتمعات الغربية المتقدمة ، ام في المجتمعات التقليدية والنامية في العالم غير المنحاز .

لقد لوحظ ذلك في مناسبات ولقاءات عديدة وخاصة اثناء انعقاد الحلقات والندوات المتخصصة[1] .من خلال المواضيع التي طرحت ونوقشت والتي عالجت مختلف الجوانب التي تهم النشاط البشري في المجتمع . فالموضوع الاول المتعلق بتطور وسائل الاعلام وتثبيت الهوية القومية والاشتراكية ، في قطرنا يبرز الدور الكبير والمثل الحي الذي يمكن ان يلعبه الاعلام في الحياة السياسية في مجموعة بشرية ما « والاعلام كأداة من ادوات الصراع يمثل دون شك طرفا غير حيادي في اية حركة تخوضها الحركة الثورية في مختلف المراحل النضالية .. قبل وبعد استلام السلطة السياسية[3] » اما المواضيع الاخرى التي شغلت بال الدراسين والمتتبعين في هذه المرحلة الزمنية العصيبة ، فهي الحد من التأثير الاستعماري لوسائل الاعلام في قلب مفاهيم المنطلقات الثقافية

والاجتماعية ، وكذلك التخريب الاقتصادي والفكري من خلال الانباء التي تهيمن عليها مؤسسات الدول الكبرى ووكالاتها المتخصصة . « ان تداول الاعلام والمواد الاعلامية بين الدول محكـوم هو الاخر لحد كبير ببضـع حقائق اساسية . فقنوات التبادل الكبرى من ناحية تملكها بعض الدول . ووكالات الانباء الخمسة الكبرى مملـوكة ملكية عامة او خاصة في اربـع دول[٣] ، لذا فقد كان على المتخصصين في هذا الميدان دراسة الامكانيات المتاحة امام الاجهزة الاعلامية في البلدان غير المنحازة للقيام بدور بارز في دعـم التعاون الثقافي والاقتصادي كمقدمـة لتعاون اشمل في النهـوض الاجتماعي . ذلك الدور الحيوي الذي يمكن ان تلعبه وسائل الاعـلام في الحياة اليومية بكافة تفرعاتها .

فالملاحظ في هذا المجال ان اغلب البلدان غير المنحازة تشعر بتخوف حاد تجاه الكيفية التي تطور بها وسائل الاعلام الوطنية وتبلور من خلال هذا التطور الهوية المستقلة لوسائلها وتوجيهاتها ، بل ومنطلقاتها ، خاصة وان « تيارات الاعلام في العالم اليوم كتيارات الهواء التي نسميها الرياح ، اصبح من الممكن التكهن بها[٤] » . وعلى الرغم من ادراك البلدان غـير المنحازة لمكانة الاعلام المهمة جدا في الحياة الانسانية ، فلا زالت الحكومات لم ترق بعد الى الدرجة المطلوبة في اعطاء هذا المرفق الحيوي حقه .

وقد عبر الدكتور (خوان سومانيا) ، من المعهد اللاتيني الامريكي للعلوم الدولية عن ذلك بقوله : (اعتبر ان مسألة انشاء مركز دولي لمراقبة شبكة الاتصالات والاعلام كاحدى المسائل الهامة التي ينبغي التفكير بها ، وانه من العجيب ان يتجه حرصنا الى ايجاد نظام اقتصادي عالمي في حين اننا نقبل كأمر واقع نظام الاعلام الحالي)[٥] . ولقد كانت ندوة بغداد « حول الحد من التأثير الاستعماري على وسائل الاتصال » على حق عندما اقرت اقامة مجمعات اعلامية لدول عدم الانحياز بغية صيانة الهوية الوطنيـة والقومية لهذه الوسائل والحد من التأثـير الاستعماري عليها . وليس من

الصعب اليوم ضرب الأمثلة الكثيرة على حالة التخلف والانزلاق تحت وطأة التأثير الاستعماري لوسائل الاعلام،فهناك الكثير من العراقيل والصعوبات التي تشكو منها وسائل الاعلام في الدول غير المنحازة فيما يتعلق بممارستها اليومية في ميدان الاعلام الاقتصادى والسياسي ويكفي ان توجه الاضواء والدراسات الى هذه المسألة او تلك حتى تصبح تلك العراقيل والمساوى امرا محسوسا . واذا كان بالأمكان مواجهة ما يعمد اليه من تحريف للقرارات السياسية في البلدان النامية تحريفا عن سوء نية ومن تشويه القانون الذي يصدر في بلد سائر في طريق النمو ، فانه يتعذر لسوء الحظ، القيام باي عمل آخر وكذلك الحال بالنسبة للسياسات الاقتصادية في البلدان غير المنحازة ، ولكن هناك امرا قد لا تنتبه اليه ايها القارىء الكريم لأول وهلة ، وهو يتمثل في ان ذلك التحريف وهذا التشويه ينطبقان ايضا على الميدان الثقافي . وفي هذه الحالة تكون الخطورة اعظم . اذ ان الوسائل المستخدمة في هذا الميدان اقل وضوحا للدارس لكنها خطورة موجودة ويمكن ان ينتج عنها ضرر مضاعف ، اذ انها تتوجه الى تخريب العقول التي تدير تلك المجتمعات النامية . ولذلك فسوف نتناول هذا الموضوع بالدراسة من خلال اربعة مباحث .

اولا ـ مصادر الانباء والتوجيه الفكري :

(لقد كان على حزب البعث العربي الاشتراكي ان يواجه قدره ، ويشق طريقه الخاص في الثورة العربية معتمدا على امكانياته الفكرية والعملية وعلى حركة الجماهير العريقة[٦] بهذا الخط الواضح ، وهذه الرؤيا السليمة ، رسم حزب البعث العربي الاشتراكي المنهج الاعلامي المستقل لاعلام القطر العراقي) قد يبدو واضحا اليوم ان وسائل الاعلام الجماهيري التي تهيمن الدول الكبرى على معظم اجهزتها النشيطة الفاعلة تبث اليوم مئات ، بل والاف الاخبار التي لا تتماشى مع الحقيقة الموضوعية التي تلف المجتمعات في الدول النامية ، اذ ان هدفها لا يتمثل في نشر خبر

ما بل يتمثل في بيع نمط الحياة القائمة في المجتمع الرأسمالي ، باعتبار ان النظام الرأسمالي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الغاية . وقد لعبت اجهزة الاعلام الاستعمارية الموجهة الى شعوب العالم الثالث دورا تخريبيا خطيرا في الوقت الذي كانت هذه الشعوب تقع تحت الاطراف المترامية لخيمة التخلف[٧] .(وقد جاء كفاح الشعوب من اجل سيادتها ومن اجل استرجاع ثرواتها الطبيعية والنضال المستمر لتثبيت واقعها القومي والقضاء على التجزئة الاستعمارية لوطنها الواحد ، جاء هذا الكفاح ليقف سدا منيعا امام المحاولات الدعائية التخريبية التي تقوم بها وسائل الاعلام في الدول الكبرى ضد هذه الشعوب . لذلك كان على الدول السائرة في طريق النمو والتقدم ان تبني اجهزة اعلام ثورية قادرة على اقتحام المنافذ التي يتسلل من خلالها الفكر الاستعماري الخبيث . فالاعلام الثوري المرتبط بالحركة الثورية هو الذي يحمل خصائصها وامتيازاتها الاقتحامية)[٨] .

والاعلام كوسيلة من وسائل المجابهة التي تستخدمها الثورات والنظم في عالمنا المعاصر لا يمكن ان يكون في موقع حيادي خلال المعركة ، بل انه ركن اساسي من اركان نجاحها ، سواء كان ذلك اثناء عملية النضال الثوري السلبي او بعد وصول تلك القوى الثورية الى السلطة وشروعها بتنفيذ منهاج التنمية القومية الشاملة « لذلك يصبح من الاستحالة فهم التنمية فهما صحيحا دون ربط التنمية الثقافية بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية[٩]» . لقد اصبح واضحا اليوم ان الاعلام الاستعماري من خلال سيطرته الكاملة على مصادر الانباء يعمد الى قلب المفاهيم والقيم كأسلوب يعتمده في الحرب النفسية الدعائية الموجهة نحو شعوب العالم الثالث ، وهي محاولات يقصد منها تشويه الكفاح الايديولوجي الذي تخوضه شعوب هذه البلدان لغرض تثبيت هويتها الفكرية النابعة من تراثها الحضاري القومي ، لذلك فليس من قبيل الصدف ان وكالات الانباء الاستعمارية الخاضعة لسيطرة الدول الكبرى تتلكأ بطريقة خبيثة في بث

الأنباء التي تتحدث عن الدول النامية ومن بينها قطرنا المناضل والذي يشق طريقه متسابقا مع الزمن لبناء مجتمع جديد متكامل يرتكز على الأصالة القومية والوطنية النابعة من حضارتنا وقيمنا ومبادئنا الانسانية ، تلك المبادىء التي جسدها حزبنا المقدام ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، ان الاعلام بقدر ما يكون وسيلة للبناء الداخلي ، فانه وسيلة للدفاع عن التراث الوطني والقومي ، وبشكل خاص يتولى الاعلام ليس تحصين السياج الخارجي للوطن فحسب،بل وتحصين السياج الداخلي للمواطن،وهذه المهمة غير معزولة عن مهمة الحركة الثورية ذاتها اذا ما حددنا سلفا ان الاعلام هو وسيلة ثورية في اطار الهدف النهائي وفي مساحة واحدة تلتقي مهمات متوازنة في تربية الجيل والحفاظ على خصائصه الفكرية والثقافية متميزة خالصة نقية من المؤثرات السلبية الخارجية الضارة(١٠) .

وهكذا ان انطلاقة التغيير الجذري الذي طرأ على معالم الحياة في قطرنا منذ ثورة ١٧ـ٣٠ تموز القومية والاشتراكية ، تلك الثورة التي حولت وسائل الاعلام الجماهيري بسرعة عظيمة الى وسيلة اوصلت الشعب بالثورة ، بعد ان كانت وسائل الاعلام خاضعة الى مؤسسات خاصة تخدم الافكار البرجوازية الانهزامية ، تجدها تحولت اليوم الى اداة كفاح وبناء المجتمع الجديد ، مجتمع الوحدة والحرية والاشتراكية . اذ استطاعت بأصالتها المبدئية ان تجعل الشعب على اقتناع بأنه يسهم في بناء مصيره من خلال ادراكه بأن المعلومات التي تتناقلها وسائل الاعلام الوطنية هي في الاساس تخدم مصالحه قبل كل شيء .

لقد ساعدت وسائل الاعلام الجماهيري مساعدة لا يمكن تقدير اهميتها ، ساعدت الجماهير الواسعة على الساحة القطرية والقومية على ادراك الماضي المقيت بكل معاناته وحقيقته واهلته لاتخاذ القرار ، ولعبت دورا اساسيا في ميدان الثقافة الجماهيرية واسهمت في تكوين المجتمع الجديد .

وهكذا ومن خلال التجربة العظيمة التي قادها الاعلام في القطر العراقي ، كانت هذه التجربة موضع اهتمام الدول التي تشق طريقها نحو التحرر والاستقلال . وخاصة اذا ما ارادت ان تسهم هذه الاجهزة في التغيير الاجتماعي الذي فرضه الحصار الذي ضربته وسائل الاعلام الاستعمارية من خلال بث الانباء التي تثير الفتن في الداخل وتروج الدعاية المضادة . ان الاصالة الفكرية في مسيرة الاجهزة الاعلامية لابد ان تؤدي الى الوضوح في الرؤيا وان تصبح المنبر والمدرسة التي تتلتمذ على يدها الاجيال — لذلك « فالاعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت »[11] .

والخلاصة لابد ان نتسائل عن واقع الاعلام الذي تخضع فيه الوسائل الاعلامية الى شبكة المصالح الرجعية الاستعمارية بالتعاون مع الاجهزة الاكثر تأثيرا والخاضعة لسيطرة الدول الكبرى . ان تلك الاجهزة ليست كما يبدو لاول وهلة مجرد وسائط دعائية عدائية تتعارض نظريتها مع مصالح الشعوب ، انها في الواقع تراقب مصالح الشعوب وتطمسها عن طريق تشويه وبث بذور الانشقاق من خلال الانباء من جهة وعن طريق الصمت والتزييف من جهة اخرى .

ومن هنا كانت اهتمامات اجهزة الاعلام في العالم الثالث لاسيما قطرنا المناضل عالية جدا في تحجيم قدرات وتحرك مصادر الانباء الاستعمارية وما الحوار العربي — الاوربي في مجال الاعلام الذي عقد مؤخرا في بغداد الا دليلا على يقظة اجهزتنا الاعلامية وانتباهها لهذا الجانب من الصراع الايديولوجي في مجال الانباء .

ثانيا — الهوية القومية والاشتراكية والغزو الامبريالي

قلنا في الفصل السابق ان من المهام الاساسية التي تضطلع بها وسائل الاعلام في الدول النامية والمستقلة حديثا هو تثبيت الهوية

القومية لمنطلقاتها لكي تقف على ارضية صلبة في مقاومة الغزو الاستعماري بكل اشكاله وفي مقدمته الغزو الثقافي ، الذي اصبح في السنوات الاخيرة السلاح الفعال لتحطيم المجتمعات النامية وكذلك الاشتراكية • وهذا ما دفع بالحزب الى التأكيد في اكثر من مناسبة على الربط بين الثقافة والفنون والاعلام بأعتبارها الجسر الذي يوصلنا بحضارتنا العريقة • (لان الثقافة والفنون والاعلام هي من ثمار الحضارة الانسانية ومن اكثر الوسائل التي ابتكرها الانسان قوة وتأثيرا في التعبير عن اوضاعه ومطامحه وتطلعاته)[١٢] • وعند الوصول الى هذه المرحلة ينبغي النظر بأمعان الى مفهوم « الثقافة » وتحديده بشكل دقيق من خلال كافة اوجهها المألوفة كالفن والادب والموسيقى والرقص ، بل والهندسة المعمارية ايضا ••• اي نمط الحياة الخاص لشعب من الشعوب التي تميزه عن بقية شعوب العالم • بأختصار تكون الثقافة هي العبقرية الخاصة لشعب من الشعوب ، ومن هنا يصبح « الترابط الثقافي » هو جملة الوسائل التعبيرية غير المحسوسة التي تستخدمها الانظمة للتأثير شرا أم خيرا على نمط الحياة في مجموعة بشرية اخرى • « فالمضمون العملي للربط الثقافي اذن هو ان اي بند من بنود التغيير الاجتماعي ينبغي بحثه على اساس قاعدة عريضة توطئة لتوقع الاثار الثانوية والمعوقات والاستفادة من العلائق ما امكن ثم لتيسير امر الانتقال »[١٣] • ترى هل يوجد في الوقت الحاضر « ترابط ثقافي » بين البلدان وخاصة التي لايوجد بينها توازن حضاري في مقياس النمو التكنولوجي ؟ الجوانب بالطبع كلا ، انه في الواقع نوع من انواع الهيمنة الثقافية وليس هو ترابط ثقافي • وقد بدأت هذه الهيمنة الثقافية منذ قرون عندما وقع الاستحواذ على الاراضي من قبل القوى الامبريالية ، وهي هيمنة باقية حتى الوقت الحاضر وان كانت في شكل مقنع •

لقد كانت الاقطار التي تؤلف اليوم ما يدعى بكتلة عدم الانحياز كلها تقريبا مستعمرات لدول امبريالية ، اما الاقطار التي حافظت على استقلال اسمي فقد نجت من الهيمنة المباشرة لان ذلك لا يخدم مخططات تلك الدول ومصالحها ، ولم يكن استقلالها الشكلي يهم كثيرا لانها كانت في الواقع خاضعة لسلطة نفس القوى اقتصاديا وثقافيا • ومن نتائج هذه الظاهرة التأريخية ذلك الاعجاب التلقائي بالعالم الغربي في معظم مستعمراته القديمة • وان المتتبع للممارسات الاعلامية التي اتبعتها اجهزة اعلام الدول الاستعمارية والموجهة الى شعوب العالم الثالث يجد ان هناك اساليب متنوعة اعتمدت اثناء هذه الممارسات وتصب كلها في مصب واحد وتهدف الى : ــ

(١) ربط ذهنية المواطن في هذه البلدان بالعالم الرأسمالي •
(٢) قتل المشاعر الوطنية والقومية وذلك بنشر الاراء والافكار والانماط المختلفة للثقافة البرجوازية •
(٣) خلق نفسية قلقة •
(٤) صرف ذهنية المواطن عن القضايا المركزية •
(٥) خلق نزعة مضادة للتوجه الجماهيري نحو الاشتراكية[١٤] •

وبطبيعة الحال كانت وسائل الاعلام القناة الرئيسية التي تسلل من خلالها الفكر المستورد الى المجتمعات الجديدة . بحيث اصبحت الاجيال الجديدة تدرك مراحل تطور الافكار المستوردة اكثر من ادراكها منابع الفكر والتراث العريق في ماضيها وحاضرها • وبنتيجة التسلل الثقافي شاع في المجتمعات النامية ظاهرة التقليد السطحي والنقل الحرفي للافكار والمبادىء المستوردة ، لتلك المبادىء التي اخذت تعتمدها المجتمعات التي فقدت شخصيتها • ولم يكن مجتمعنا بمعزل عن هذا التسلل وذلك التشويه ، غير ان مجابهتها بنجاح كان امرا صعبا بسبب النظام الهزيل الذي كان قائما انذاك •

ولكن بعد قيام ثورة ١٧ــ٣٠ تموز القومية والاشتراكية رمى الحزب بكل ثقله وتراثه الفكري بغية تقويم مسار المجتمع ، واعاد اليه تاريخه الحضاري المجيد ومنطلقاته الانسانية . (ان ماضي اربعة عقود من المعاناة النضالية ، ومن الآلام التي تخللتها ، ان هذا الماضي ، قد صنعه مناضلون مؤمنون من ابناء هذه الامة المجيدة ، تتابعوا قوافل وافواجا ، يحملون راية النضال والتضحية والصبر ، فكانوا يتساندون ويتناوبون . وعندما كانت مسيرتهم النضالية تصعق في قطر ، او تتعرض لنكسة ، كان المناضلون في الاقطار الاخرى يضاعفون عزمهم وجهدهم . ان هذه الاستمرارية قد كانت تبرز دوما كحقيقة ناصعة بالرغم من العثرات والنكسات والنواقص الذاتية ، وهي التي اكدت هوية فكرية ، وعبرت عن شخصية متميزة ، ورسمت خطا نضاليا تأريخيا) .[١٥]

وهكذا ركزت اجهزة الاعلام القطرية منذ ذلك الوقت اي منذ الثورة على التوعية بالثقافة العريقة للامة العربية ، كما يسرت الامكانيات امام نشر ثقافات الاقطار الشقيقة والصديقة ، وخاصة دول العالم الثالث والتي لا تتعارض والمنطلقات الاساسية لفكر الحزب حيث اكد التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن على (ان وطننا العربي ينتمي الى ما يدعى بالعالم الثالث الذي يتكون من قارات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . وتلتقي اغلب بلدان هذه القارات في اوجه عديدة . فهي جميعا كانت خاضعة ــ بشكل او آخر ــ للسيطرة الاستعمارية وناضلت وما تزال في سبيل التحرر والتقدم والنهضة القومية ، والوحدة القومية بالنسبة للامم المجزأة كالامة العربية) .[١٦]

ثالثا ــ التخريب الاقتصادي من خلال الانباء

لايوجد شك مطلقا في ان اجهزة الاعلام في العالم عموما قد اكتسبت اهمية متزايدة وبعدا جديدا في اعقاب الحرب العالمية الثانية . فلقد تصاعدت الثورة التكنولوجية التي شملت اجهزة وقنوات الاتصال

حيث (ان تكنولوجيا الاتصال تعتبر قطب الرحى بالنسبة لاي تكنولوجيا اخرى)[١٧] • لقد اضحت تلك الثورة التي صنعها التقدم الهائل في ميدان العلوم الالكترونية وتمثلت في التطوير الهائل في وسائل البث والارسال والاستقبال الصوتي ، ثم في ظهور التلفزيون واستخدام الصورة الملونة فيه ، حتى تداعت الحواجز المكانية بين الشعوب والانظمة واصبحت الاصوات والصور الوافدة من مختلف بقاع العالم تصل الى الجماهير وتتزاحم على عقولهم ونفوسهم •

وقد واكبت هذه الثورة التكنولوجية ثورة علمية في قنوات الاتصال والتأثير ، فلم تعد محاولات هذا التأثير قاصرة على بث الفكرة او الخبر في صورة حديث عبر الاثير وموجاته ، بل صارت جزءا من علم قائم على فهم وتحليل النفس الانسانية ومدى تقبلها ورفضها للافكار والقيم ، (وعندما ازدادت المسائل العامة تعقيدا في اثناء حركة « النظام الجديد » للاعلام ثم بعد ذلك عندما بدأت الحرب الباردة ، اصبح من الصعب ان تقتصر تغطية الاخبار على الوقائع المجردة بدون شرح)[١٨] • اي اصبحت امام الاعلام مهمة التعليق ودراسة الخبر والوصول الى نتائج بهدف ادخال الافكار وترسيخها في عقول الجماهير وربطها اكثر فأكثر بقنوات الاتصال • اذن فقد اصبحت المهمة الجديدة امام وسائل الاعلام المتطورة تنظيم قدرة هذه الاجهزة والمؤسسات صاحبة المصلحة سياسيا واقتصاديا على توجيه العقول والتأثير على النفوس نحو الاتجاهات المجندة في خدمة تلك المؤسسات • وهكذا استعان علم الاتصال بكل ما توصل اليه علم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الاخرى ذات الصلة • وانتقلت ثمرات هذه الثورة بشقيها الى الحياة السياسية ، فاستخدم الاعلام خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها استخداما جديدا واسعا في الدعاية السياسية والتوجيه الداخلي والخارجي على السواء • فكانت الدعاية النازية وكذلك السوفياتية تعطي اهمية متوازنة

للجماهير داخل المجتمع وخارجه . وكان الفكر الموجه نحو الجماهير لتثبيت السلطة مرتبط ارتباطا وثيقا بالمعارك الاعلامية والعسكرية والاقتصادية والدبلوماسية . وحيث سادت في المجتمع الدولي بعد الحرب العالمية الثانية روح الحرب الباردة التي صنعها الاستقطاب بين الدولتين الكبيرتين ونظامهما السياسي والاقتصادي . انشئت المؤسسات الاعلامية المخصصة لتصعيد ذلك الصراع ومنها الاذاعات والمراكز الموجهة الى تلك الشعوب . حيث اضحت تلك المؤسسات تتزاحم في ايصال الافكار والثقافات الى عقول الجماهير بهدف التأثير عليها وجرها في معسكرها الفكري بهدف بسط نفوذها السياسي والاقتصادي على اراضيها .

هكذا اذن اصبح للاعلام دور خاص في الدول النامية انطلاقا من ان هذه الدول تحاول ان تلحق بركب التقدم الاقتصادي من خلال ممارسة تغييرات واسعة في بنائها الاقتصادي والاجتماعي . (والتنمية كما يتضح يجب ان تسير على جبهة عريضة ، فعملية التنمية في الواقع تغيير عريض للمجتمع ، لا يكفي ان تبنى المصانع وتنتج الآلات .. بل انها ايضا تحتاج الى درجة عالية من التغيير البشري)[١٩] . ان هذه العملية تحتاج الى تخطيط علمي وحشد للطاقات وتوجيه سليم وسيطرة مركزية على وسائل الاتصال للحد بالدرجة الاولى من تأثير الأجهزة الأعلامية في الدول الاستعمارية على سايكولوجية الجماهير في الدول النامية خاصة اذا عرفنا (ان تداول الانباء بين الدول هزيل ، غير متوازن ، مع تغطية ثقيلة لقلة من الدول ذات القدرة العالية في درجة التنمية ، وتغطية هزيلة لكثرة من الدول التي تقل عنها في درجة التنمية مع ميل ، في بعض الحالات على الأقل الى تجاهل احداث هامة وتشويه الحقيقة المعروضة)[٢٠] . وكثيرا ما لجأت اجهزة الدعاية الاستعمارية الى التأثير في القيم السائدة في الدول النامية بغية اعاقة عملية التنمية المنشودة .

ومن الجدير بالملاحظة ان نؤكد هنا في ان توجه وسائل الاعلام

في الدول النامية وخاصة في المجال العالمي تقيده عوامل عديدة بعضها موضوعي والآخر ذاتي ، من بينها ضعف درجة تطور الوسائل بالقياس الى وسائل الاعلام في الدول الصناعية المتقدمة التي تتناقض وتتصادم مصالحها الاقتصادية مع مصالحنا ، الى جانب قلة التنسيق والتعاون بين وسائل الاعلام في البلدان غير المنحازة نفسها ، بحيث ان التعاون في هذا الميدان لم يصل بعد الى المستوى الذي بلغناه في الميدان السياسي تجاه هذه المشاكل التي يعانيها العالم المعاصر .

ان التخريب الاقتصادي الذي تلجأ اليه اجهزة الاعلام الاستعمارية من خلال الانباء تتمثل في تشويه النوايا الوطنية السليمة التي تضمرها اجهزة التخطيط الاقتصادي في الدول النامية . وان (اي عملية تتصدى لمثل هذا الوضع الذي تعاني منه البلدان النامية ، لابد ان تكون عملية شاملة ، عملية تأخذ في حسابها جميع مرافق حياة الانسان ومجالاتها ، بل اصبح هذا الخط محورا لنشاط المنظمات والمؤتمرات التي تعقد لهذا الغرض او الدراسات والبحوث التي تدور حوله)[٣١] .

اذن فالاخبار التي تركز على مبدأ « التبادل الحر للبضائع » ما هي في الواقع الا شكل من اشكال النهب المبرمج للثروات الاقتصادية من الدول النامية الى الدول المصنعة . لذلك نلاحظ ان اجهزة الاعلام الاستعمارية تحاول التأكيد على ما تسميه « النزعة القومية في مجال الاقتصاد » ، عندما تحاول الدول النامية ان تحرر اقتصادها من تبعية الدول الكبرى .[٣٢] .

ولذلك فأن المشاكل الاقتصادية الدولية والكفاح في سبيل اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد يكتسب ضمن النشاط الحالي للبلدان غير المنحازة والذي يلعب قطرنا دورا بارزا ومتميزا فيه ، من خلال شرح الابعاد الوطنية التي اتخذها القطر في مجال السيطرة على موارده وثرواته النفطية . والتوجه نحو بناء قاعدة اقتصادية وصناعية متطورة ،

والاخذ بيد الدول النامية ومساعدتها في تطوير مواردها الاقتصادية ، الامر الذي يتطلب وقوف اجهزة الاعلام المختلفة بوجه مصادر الانباء الاستعمارية التى تحاول بمختلف السبل تشويه هذه الحقيقة وتصويرها على انها نوع من انواع « الابتزاز » كما ظهر ذلك واضحا في حملة الاعلام الغربي على منظمة الاوبك .

من كل ما تقدم لابد ان نصل الى نتيجة مفادها ان اجهزة الاعلام في الدول غير المنحازة تتحمل مسؤولية مشتركة لا في النطاق القومي فقط بل وعلى المستوى الدولي ايضا ، تلك المسؤولية تتمثل في الحد من الاعتماد على مصادر الانباء الاستعمارية وفي تطوير الأفكار والبرامج التي توسع من ثقافة الجماهير الاقتصادية وتقرب الاحوال السائدة في الاقطار النامية بعضها ببعض ، عن طريق المحتوى الذي تخصصه وسائل الاعلام للاخبار الاقتصادية .

ان التعاون المنقوص بين وسائل الاعلام والمقتصر على المحتوى السياسي للاخبار يزيد من الصعوبات التي تقف امام الحد من التأثير الاستعماري في وسائل الاتصال . ان انتقاء الاخبار الاقتصادية بعناية كبيرة يساعد على تطوير القدرات القومية للدول النامية . لهذه الاسباب يمكن لوسائل الاعلام ان تلعب دورا كبيرا في ميدان توسيع نطاق التبادل بين بلدان العالم الثالث في الميدان الاقتصادي بكافة فروعه .

رابعا ــ القيم الاجتماعية ومهمة وسائل الاعلام

ليس من شك في ان اجهزة الاعلام لعبت دورا متميزا في عملية الادماج الاجتماعي من خلال نقل القيم الاجتماعية بين المجتمعات الانسانية المختلفة . وقد احتلت الدول النامية مكان الصدارة في تقبل هذا النوع من الغزو الثقافي و (الحضاري) حيث اصبح للاعلام دور خاص في هذه الدول من خلال المحاولات التي تبذلها بغية اللحاق بركب التقدم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي عن طريق ممارسة تغييرات

واسعة في بنيانها الاقتصادي والاجتماعي • (فالتحول الاجتماعي ليس معناه اموالا تنفق ، وانما تعني تحرير الانسان من ربقة الشخصية التقليدية الجامدة •• فلا يمكن أن يتغير المجتمع الا اذا تغيرت شخصيات الافراد وأصبحت متقبلة للتغيير مقدمة عليه بتطلع متفائل)[٢٢]

وبطبيعة الحال تحتاج هذه العملية الى نوع من حشد الطاقات وتوجيهها تماما كما تحتاج كذلك الى توجيه فكري ونفسي يعالج انماط في طريق عملية التنمية بمدلولها الانساني الواسع كما تتناول عددا اخر من القيم بالتثبيت والتدعيم حتى تتأكد حاجتها من خلال الحفاظ على القيم الروحية والنفسية للمجتمع وعلى تميزه الحضاري الذي اختار الحفاظ عليه • ومن هنا تبرز عملية الاختيار الصعب الذي تواجه اجهزة الاعلام الوطنية • اذ من المعلوم ان ماكنة الاعلام العاملة في الدول المتقدمة تعد البرامج وفقا لواقع مجتمعاتها وقيمها الحضارية والاجتماعية السائدة وهي بدون شك تتعارض مع نماذج الحياة في الكثير من الدول النامية ، لذلك فأن مهمة صعبة وشاقة تقف امام « حراس البوابة الاعلامية » اثناء فحصهم للمواد المقدمة من تلك الدول ، خاصة وان اجهزة الاعلام في الدول النامية اصبحت اداة فعالة مكملة لدور الاجهزة التنفيذية والسياسية في تحقيق التغيير الاجتماعي والاقتصادي وفي اللحاق واختصار المدة اللازمة لها وهي — لهذا — تواجه حالة طوارىء قصوى تقتضي من القائمين عليها ان يستخدموا كل فنون الثورة الاعلامية لا سيما « ثورة الاجهزة ، وثورة علم الاتصال لتنظيم جهد المجتمع في تصفية اثار التخلف وتحقيق مهمة التقدم والنمو ، خاصة عندما تدرك ان (وسائل الاتصال الجماهيري دورا بالغ الاهمية في اضفاء قسمات عصر التكنولوجيا على وجه العالم المعاصر)[٢٣] • ولابد من العمل على تدعيم الاعلام فيما بينها لتقريب جماهيرها وربطها ببعضها • واخيرا فأن النقطة الرئيسية في مجال التنمية والتغيير

الاجتماعي والحفاظ على قيم المجتمع الاساسية هو سعة ادراك الفرد الذي هو في الواقع محور التنمية . (وعملية التغيير في جوهرها عملية بسيطة .

اولا ينبغي ان تدرك الجماهير حاجة لا تشبعها العادات القائمة ولا السلوك الحالي . ثم عليها ان تخترع او تقتبس السلوك الذي يقرب من مواجهة الحاجة)[٢٤] . اذن فالجماهير بما تحمله من افكار وقيم هي الاطار الثقافي الذي يخلق ايديولوجية القيم بكل ما فيها من نظرة الى الماضي والحاضر والتطلع الى المستقبل وذلك كله من اختصاص الاعلام ، فاذا ما حقق نجاحا في هذا الميدان اندفعت الجماهير الى المزيد من التطلعات عن طريق بذل المزيد من الجهد مؤمنة بان الالتصاق بالارض والقيم الروحية والاخلاقية لحضارة الامة الاصيلة هي في النهاية القادرة على تحقيق التقدم الاقتصادي والنهوض الثقافي والاجتماعي . لذلك لا يمكن ان تتم اية عملية تنمية وادراك لدور الاجهزة الاعلامية ما لم ينظر الى هذه العملية بأعتبارها عملية شاملة .

ان (العلاقة بين الاعلام والتنمية ، لم تكن مصادفة ، او اعتباطا وانما تستند الى اسس موضوعية وعلمية شاملة ، للانسان ونشاطه وحاجاته المادية والروحية)[٢٥] .

المصادر والهوامش والتعليقات

١ ــ ندوة بغداد لصحفيي دول عدم الانحياز ــ بغداد كانون الثاني ١٩٧٩ .
٢ ــ ملحق جريدة الثورة . العدد ٨٢ ، ١٢ اذار ١٩٨٠
٣ ــ ولبورشرام . اجهزة الاعلام والتنمية الوطنية ترجمة محمد فتحي . القاهرة ١٩٧٠ . ص ٨٣
٤ ــ نفس المصدر .
٥ ــ من وثائق الملتقى الاعلامي للدول غير المنحازة ــ تونس ٢٦ــ٣٠ اذار ١٩٧٦ .
٦ ــ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي ــ بغداد ١٩٧٤ .
٧ ــ عبدالكريم مكي ــ اعلام الثورة ــ بغداد ١٩٧٤ ص ١١٧ .
٨ــ ملحق جريدة الثورة العدد ٨٢ ، ١٢ اذار ١٩٨٠ .
٩ ــ حميد جاعد ــ التنمية والتخطيط الاعلامي في العراق . بغداد ١٩٧٩ ص٥٩
١٠ــ الاعلام والحصانة الوطنيــة والقومية ــ مقال ملحق جريدة الثــورة ، العدد ٨٣ ، ٣٩ اذار ١٩٨٠
١١ ــ ابراهيم امام . الاعلام والاتصال بالجماهير القاهرة ١٩٧٥ ص ١١ .
١٢ ــ ميثاق العمل الوطني ، عن عبدالكريم مكي ، اعلام الثورة ص ٤٥
١٣ ــ ولبورشرام . اجهزة الاعلام والتنمية الوطنية ص ١٥٩ .
١٤ ــ عبدالكريم مكي . اعلام الثورة ص ١١٨ .
١٥ ــ القائد المؤسس الرفيق ميشيل عفلق ــ جريدة الثــورة العدد ٣٦٠٧ ٧ نيســان ١٩٨٠ .
١٦ ــ التقرير السياسي .
١٧ ــ وليم ريفوز . وسائل الاعلام والمجتمع الحديث . ترجمة د . ابراهيــم امام ــ القاهرة ١٩٧١ ص ٤٧ ــ
١٨ ــ نفس المصدر صـــ ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .
١٩ ــ وليور شرام ، اجهزة الاعلام والتنمية الوطنية ص ٤٤
٢٠ ــ نفس المصدر ص ٩٠
الموقف من الدول المصدرة للنفط (الاوبك).
٢١ ــ د . ابراهيم امام . الاعلام والاتصال بالجماهير . صــ ٥٠
٢٢ ــ د . اسماعيل علي ســعد . الاتصــال والــرأي العــام . القاهــرة ١٩٧٩ . ص ٤٧
٢٣ ــ وايور شرام . اجهزة الاعلام والتنمية الوطنية ص ١٥٦
٢٤ ــ حميد جاعد ــ التنمية والتخطيط الاعلامي في العراق . ص ٣٩